الأربعون

« ALLA GLORIA MILITAR. »
FIGARO, MOZART.

النخل جاد اربعين ميتة
والصيف مد للخريف اربعين يد
والمدن لزت كتفها الانسي
آلافا من الوجهات في سور الرمال
تذود عن جبينها جهامة الصحراء
شاخت قرى
وانزرعت جبال
واستهلكت ناس حنانَ ارضها
واخرون انطلقوا فرحى علـــى صدر الزمان
يرتج في اقدامهم خوف المحبين وفي احداقهم
شوق الى خلد الحياة
هنيهة صغرى من الحياة
يا لحظة منها ويا عناقها
لانتما اخلد من خوالد الموات

***

الموت صاح واستراح اربعين حجة
وطاف في الحرم
في حرم القلب الشريف بالخفوق
الموت هذا الهمجي قـاء عهره لـدى البيوت والدروب
وفي صدور الناس اطبق المحار
الموت ما يزال
يباعد الرجال اكواما من الصدى
يمد من صراخهم جسور لقياهم علـى الارض البوار
الموت قرب الجدار بالجدار
نام على الاعتاب
كالكلب. يلحس القدم
وساحرا يدغدغ العيون
يغريها بجنة العدم
يسيل كأسه الرصاص مترعه
يريقها اشواك شوق شاخ في الارحام
يعبها ثلج وماء بردت من قبل ان تسيل
الموت لامس الجباه
مطبا مشعوذا
ينزل حانا بعد حان
يطوق الاعناق بالحديد والقيود
يقول للندمان انها الجميل ، انها ورود
مرددا الحانه الوحيدة النغم
والشرفات اعتصرت من حمأة السكون
سكرا ظلاما ، رعبنا المصون
الموت زار كل صوت ، مس كل ساق
فصار صمتنا ما يقال بامتشاق سيف
وصار مايلاك في خطاب
عهرا عييا وانفجار قيح
ونحن في المدائن البليلة الثرة
نفتح للصحراء بابا بعد باب
نحفن في العروق
رمالها الملتهبه
ونصطلي ازورارنا
غيابنا عن بعضنا
غيابنا عنا وعن اخوة الالم
صحراؤنا وكلها طريق
وما بها طريق
كمثل افعى لا نهائيه
فحت علينا تيهها ، عطاءها الوحيد
فاصبحت بموتهـــا تعرف البيـــوت والقلوب
بيتي انا على يمين «الموت لا» باحرف مختالة سوداء
بيت اخي على امتداد « المـــوت لا » باحرف داعرة زرقاء
وانهدمت جدران
وقيل لا ، لن نسجن الشموس فـــي تيه الكراهيه
« سنحصد الريحـان »
« ونقطـــف الرمـان »
« وننشـــد النشيـــد »
« باعـــذب الالحـان »
وارتفعت جدران
اذ كان في النشيد
فعل لهاث السم في الوريد

***

ومنذ اربعين عاما وانا ادور انتظار
ادور السنين كالارقام فـــي دفاتر الديون
لكنني ما ان احس في الذراع لحظـة
بوخزة الحياه
حتى احيي الارض جـدولا طهـورا ، كوكب انتصار
وكنت حتى الآن
طفلا ، غلاما ، رجلا غليظ
أكوم الالفاظ ، استبيح ان اسال
من خمرة اليأس اغتباطا وارتياح بال
وحين استدير
أرى ورائي اربعين مهجـة لا تنـدب الرحيل
تكرهني لانني
شويتها في الوهج البارد للنجوم
شويت ابنائي
طلبت للنسيان ان يأكلهم
طلبت للغفران ان يحميني ، يمنحنـي المزيد
واليوم اذ دفنتهم ، دفنت ما ابقى لي النسيان من عظام
حفرت للاطفال في حديقتي
قبورهم وفوق كل قبر ما احب الطفل من لعب
ادخلها في البيت حين ينزل المطر
مخافة الصدأ
مقبرة الاسرة فـي حديقتي الفسيحة الارجاء
تبدأ بالابناء .

***

ما انفكت الصحراء ، غـــولا تخطف الاطفال ،
تلحف في اقتحام مدننا الربيعيه
تمتصها ، تلبسها
سماءها البلهاء
قضاءها الشحيح كالدموع في جماجم الاموات
فاين من يطردها يردها مهينه
يسري باليل عقمها مفتحا عيونه
يقلع في مراكب الانسان
خلال مـوج الخصب وسط لجـــة المدينه

بغداد — نجيب المانع